الباب الرابع
الزندقة

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول
مفهوم الزندقة وتاريخها

معنى الزندقة:

كلمة الزندقة لفظ أُطلق وأريد به عدة معانى ودلالات مختلفة ، ويأتى هذا الاختلاف فى معانيها من حيث الدلالة اللغوية لهذه الكلمة ومن حيث المعنى الاصطلاحى لمفهوم إطلاقها ، وسوف نوضح أولاً المعنى اللغوى لها ثم معناها الاصطلاحى فى مفهوم العامة وعند الخاصة .

أولاً ـ معناها فى اللغة:

تعنى كلمة زندقة القول بأزلية العالم ، وهو لفظ فارسى الأصل وهو بالفارسية زندكراى ، أى الزنديق ، والزنديق هو القائل ببقاء الدهر(١) .

وقد أُطلق هذا الاسم فى بادىء الأمر على الزرادشتية والمانوية وغيرهم من الثنوية(٢) .

وقد توسع فى اللفظ بعد ذلك فأطلق على كل شاك أو ضال أو ملحد .

وقد شاعت هذه الكلمة فى العصر العباسى الأول شيوعاً واضحاً حتى صارت تُطلق على أصحاب مانى وأتباعه وعلى كل من ينكر الوحدانية وعلى الفجار الذين احترفوا الفجور والعصيان والمجان الذين تعودوا شرب الخمور والمسكرات .

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب ٣/ ١٨٧١ مادة زندق .

(٢) الثنوية ـ هم أصحاب الاثنين الأزليين النور والظلمة حيث قالوا بأزلية وقدم النور والظلمة بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام ، والثنوية تقول بالتسوية في القدم بين النور والظلمة واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح (الشهرستاني ـ الملل والنحل ٢/ ٢٩٠) .

ثانياً. مفهوم الزندقة في الاصطلاح:

الزندقة كلمة كانت تطلق على أصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن اردشير وليست كلمة تُطلق على كل كافر أو ملحد وذلك أن مانى أحدث مذهباً دينياً بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام(١) .

ويؤكد هذا المفهوم لكلمة زندقة ما ذهب إليه الأستاذ ماسنيون فى كتابه(٢) أن كلمة زنديق يقصد بها معنى البدعة وكانوا يعنون بها بدعة من يتهل إلى الشياطين ويطلب منهم الرحمة ، وأن الكلمة استعملت فى العهد الساسانى وكان يقصد بها بدعة مانى إذ أن مانى فى نظر الزرادشتيين زنديق ملحد ، ففى العهد الساسانى أُطلقت كلمة زنديق على كل مزدكى إلا أن استعمالها كان أكثر ما يكون للدلالة على كل بدعة يقصد بها التنسك والزهد والإسراف فيهما ، وعلى هذا تكون الزندقة لفظة قديمة .

وينقل إلينا الأستاذ أحمد أمين رأياً لأحد المستشرقين يقول أن المانوية يطلقون كلمة السمّاعين على من لم يرقوا إلى الدرجة العليا من المانوية ولم يلتزموا بكل الواجبات التى تفرضها الديانة من رهبانية وزهد ويقابلهم الصديقون وهم الملتزمون بأداء تلك الواجبات ويفضلون الفقر على الغنى ويزهدون فى العالم وشئونه .

فالكلمة وضعت أولاً لطائفة خاصة من المانوية ثم استعملت فى المانوية جميعاً(٣) .

وعلى هذا تكون كلمة الزندقة تسمية قديمة أطلقها أتباع زرادشت على أتباع مانى حيث كان فى نظرهم مبتدع ومخالف لما جاء به زرادشت ، أو أن التسمية اقتصرت على طائفة من طوائف المانوية لم تلتزم بكل تعاليم مانى ، وقد انتشرت هذه الكلمة وتداولت وكثر استعمالها على ألسنة السابقين ..

فابن قتيبة وهو يتحدث عن أديان العرب فى الجاهلية يقول : وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة(٤)ويقصد بها ديناً خاصاً من أديان الفرس .

---

(١) أحمد أمين ـ فجر الإسلام ص١٠٨ .

(٢) تاريخ العقائد نقلاً عن طه حسن حماد ـ الزندقة في العصر العباسي ص٢٤٥ .

(٣) فجر الإسلام ص١٠٩ . (٤) المعارف ص٣١ .

وقيل أن الزندقة معناها الكفر والإلحاد والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإسلام تقية أو طمعاً فى الجاه والسلطان ولكنه يدين بدين المجوس عن علم ويقين .

وفى ذلك يقول الشاعر :

بغداد أرض لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

أصبحت فيها مضاعاً بين أظهرهم ... كأننى مصحف فى بيت زنديق(١)

فقد كان هناك طائفة لم تؤمن بالإسلام وأحكامه من حيث أنه الدين الخاتم الذى ختم الله به الأديان وأرسل به سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وإنما آمنوا بسلطانه فرأوا أنه لا سبيل إلى مواجهة هذا الدين بالقوة والصدام لابالحجة والبرهان فلجأوا إلى الكيد له فى خفاء فأظهروا الإسلام والتبعية وأبطنوا الكفر والمجوسية ، وقد ملىء العصر العباسى الأول بأمثال هؤلاء الزنادقة ، فعبد الكريم بن أبى العوجاء يتهم بالزندقة ويفسد أحاديث رسول الله ﷺ بما يضع فيها ويقر حين يقتله المنصور بأنه وضع أربعة آلاف حديث مكذوب ومصنوع ، وحماد الروية يفسد اللغة والأدب بما يعمله من شعر يضيفه إلى الشعراء المتقدمين وأمثالهم كثيرون فى هذا العصر(٢) .

ومن معانى كلمة زندقة أنها تطلق على من يتبع الزند ـ وهو تفسير أو شرح لكتاب الفرس المقدس الذى جاءهم به زرادشت وهو (بستاه) فلما عجز الفرس عن فهمه عمل لهم تفسيراً له اسمه (زندا) ثم عمل للتفسير تفسيراً آخر سماه (بازند)(٣) .

أما الغزالى فيعد الثنوية والزنادقة والدهرية كلهم مشركون لأنهم كذبوا الرسول ﷺ ، فكل من كذب رسول الله فى شىء جاء به فهو مشرك(٤) .

---

(١) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ١/ ٤٦٤ ، وأحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٤٤ ، وحسن إبراهيم ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٩٦ .

(٢) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٧ .

(٣) المسعودي ـ مروج الذهب ١/ ٢٣٠ .

(٤) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ـ تحقيق سليمان دنيا ـ مطبعة الحلبى ١٩٦١ م .

ويلاحظ أن المسعودي لم يستعمل كلمة زنديق ولم يطلقها على أحد إلا على مزدك فهو يقول (وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق) ، ويقصد في أيام قباذ بن فيروز أحد ملوك الساسانية ، مما يدل على أطلاقها على كل المزدكية بطوائفهم وفرقهم[١] .

وقيل إن لفظة زندقة مأخوذة من كلمة زاديق الآرامية بمعنى المستقيم في الدين ، وتقابلها في العربية صديق ثم عربت إلى زنديق[٢] ، ومهما يكن من شيء فإن معنى الزندقة عند المفكرين المسلمين في العصر العباسي الأول ومنهم الجاحظ معناها العودة إلى شريعة الفرس البائدة وإخفاء الكفر والإلحاد[٣] وأنها كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنحلتين ظهرتا في فارس هما المانوية (٢١٥/ ٢٧٦ م) ، والمزدكية (٤٨٨ ـ ٥٣١ م) .

ثانياً. الزندقة في عصور الإسلام :

(أ) في العصر الأموي :

ويرجع تاريخ الزندقة وانتشارها في المجتمع الإسلامي إلى أواخر العصر الأموي ، ولكن إنتشارها كان محدوداً وضيقاً في العصر الأموي بينما كان في العصر العباسي الأول شائعاً فاشياً .

والسبب في أن استعمال كلمة الزندقة خلال العصر الأموي كان قليلاً نادراً إلى أن الزندقة في بعض معانيها تعني الشك أو الإلحاد ، وهذا يقترن عادة بالبحث العلمي الذي كان فكان في العصر العباسي أبين وأظهر ، ذلك أن العلم الذي كان شائعاً في العصر الأموي كان العلم الديني من جمع الحديث وتفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام الشرعية منهما ، وهذه لا تثير في النفوس شكوكاً تبعث على الزندقة ولا تدعو إليها ، إنما الذي قد يثير الشكوك مذاهب الكلام والجدال الديني حول المسائل الأساسية في الأديان والبحث الفلسفي على النحو الذي يبحثه أرسطو وأفلاطون في المادة والصورة والجزء الذي لا يتجزأ والجوهر والعرض وما إلى ذلك ، وهذه

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٣٠ .
(٢) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ١٦٠ .
(٣) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٦٠ .

الأشياء كانت قليلة فى العصر الأموى وهى وفيرة جداً فى العصر العباسى بسبب ما نقله ابن المقفع وما صنفه بن أبي العوجاء وحماد عجرد ومطيع بن إياس لتأييد مذهب المانوية والديصانية(١) .

ففى العصر الأموى لم نرى ذكراً للزندقة ونادراً من كان يُرمَى أو يُتهم بها ، فتشير المصادر خلال تلك الفترة إلى من اتهم بالزندقة ، فالوليد بن يزيد ابن عبد الملك (١٢٥ ـ ١٢٦ هـ) كان من بين من اتهم بالزندقة وذلك لخلاعته وفسقه وتهاونه بالصلوات واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته وبعدها ، فضلاً عن شعره الذى ضمنه سفاهته وحمقه وهزله ومجونه وما صرح به من الإلحاد فى القرآن الكريم(٢) .

ومن شعره الذى يروى عنه ويرفع إليه قوله :

ألا حبذا سفرى وإن قيل إننى ... كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا أن نظل نهارنا ... إلى الليل لا ظهراً نصلى ولا عصرا

ومن أجل هذا رماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة وغشيان(٣) أمهات أولاد أبيه وباللواط وغيره(٤) .

ولعل تعلقه بهذه الفتاة النصرانية وعشقه بها حتى أنه جهر بهذا العشق أمام البار الفاجر هو السبب الذى حمل البعض على رميه بالزندقة .

فقد روى عنه أنه كان يذهب إلى الأديرة فى أيام أعياد النصارى لينظر من بعيد إلى الفتيات الحسان وبخاصة محبوبته سفرى وقد أنشد فيها شعراً ومنه :

ضحك فؤادك يا وليد عميداً ... صبا قديماً للحسان صيوداً
فى حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة عيداً
مازلت أرمقها بعينى وامق ... حتى بصرت بها تقبل عوداً
عود الصليب فويح نفسى من رأى ... منكم صليباً مثله معبوداً
فسألت ربى أن أكون مكانه ... وأكون فى لهب الجحيم وقوداً(٥)

---

(١) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٤٤ .
(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٨ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ٨ ، والسيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٢٥٠ .
(٥) انظر تاريخ الخلفاء والبداية والنهاية ١٠/ ٨ ، ومسالك الأبصار ١/ ٢٨ .

وقد قال بفجوره ومجونه كل من الإمام الحافظ السيوطى وابن كثير وابن فضل الله العمرى ، لكن الذى يظهر لنا أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً مرتكباً للمعاصى لا يخشى من أحد فى ارتكابها ولا يستحى من أحد ، وهذا ما حمل البعض على رميه بالزندقة كما سبق أن أشرنا ، ونرجح أن هذه المحرمات كان يرتكبها قبل أن يلى أمور الخلافة التى هى أعظم وأجل من أن يتولاها زنديق ، ومما يؤكد ذلك أن رجلاً فى مجلس الخليفة المهدى ذكر أن الوليد ابن يزيد كان زنديقاً فردَّ عليه المهدى قائلاً : خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها فى زنديق ، وحتى إن صح أن الوليد قد اتهم بها فإن اتهامه بالزندقة لا يعنى الإلحاد والشك أو التبعية للمانوية والمزدكية ، وإنما كان يقصد منه الفجور والفسق والمجون وهى المحرمات التى أجمع المؤرخون على ارتكاب الوليد لها ، ومما يؤكد صحة ما ذهبنا إليه قول بعض الباحثين أن الزندقة كانت فى العرب على العموم نادرة وأكثر من اتهم بها كانت زندقته بمعنى التهتك والفجور ، أو كان اتهامه بها شركاً من الشراك التى تنصب من أجل خصومة سياسية(١) .

وممن اتهم بالزندقة فى العصر الأموى الجعد بن درهم ، وكان قد أظهر مقالته بخلق القرآن الكريم فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ) فأخذه هشام وأرسله إلى خالد بن عبد الله القسرى وهو أمير العراق وأمره بقتله فحبسه خالد ولم يقتله حتى بعث إليه الخليفة فأخرجه خالد من الحبس فى وثاقه ، فلما صلى عيد الأضحى قال فى آخر خطبته انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فإنى أريد اليوم أن أضحى بالجعد بن درهم فإنه يقول ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه(٢) .

وذكر ابن النديم أن الجعد كان مؤدباً لمروان ولولده وأنه أدخله فى الزندقة(٣) .

---

(١) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٨ .

(٢) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٤/ ٤٥٢ ، السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٢٥٠ .

(٣) الفهرست ص ٤٥٨ .

وعلى كل حال فإن كلمة الزندقة خلال تلك الفترة كانت محدودة الانتشار ضيقة الرقعة ..

(ب) الزندقة فى العصر العباسى :

أما فى العصر العباسى الأول فقد انتشرت الزندقة انتشاراً واسعاً وكثر أيضاً المتهمون بها حقاً وباطلاً وأصبح للزندقة معانى متعددة فلم تعد تُطلق على أتباع المانوية أو المزدكيةوإنما تطورت معانيها فأصبحت تُطلق على كل من يخرج على الدين بأى نوع من أنواع الخروج أو يجاهر بشرب الخمر والمجون ، أو يمازح أقرانه بكلام فيه استخفاف بأمر من أمور الدين ، كل هذه المعانى راجت خلال هذا العصر .. فنراها تُطلق على عبدة الأوثان وأصحاب الرأس ، يوضح ذلك ما ذكر ابن النديم فى كتابه[١] من أن المأمون اجتاز فى آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو فخرج الناس يدعون له وفيهم جماعة من الحرنانيين[٢] فأنكر المأمون عليهم زيهم وقال لهم من أنتم من الذمة ؟ فقالوا نحن الحرنانية ، فقال أنصارى ؟ قالوا لا ، قال فيهود ؟ قالوا لا ، قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا ، قال لهم أفلكم كتاب أو نبى ؟ فمجمجوا فى القول ، فقال لهم أنتم إذاً الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس فى أيام الرشيد والدى وأنتم حلال دماؤكم لا ذمة لكم ، فقالوا نحن نؤدى الجزية ، فقال لهم إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام وذكرهم الله فى كتابه ولهم كتاب وأنتم ليسوا من هؤلاء .

كما كانت الزندقة تُطلق على المجان والظرفاء ومن يشرب الخمر حتى عد ابن عبد ربه من علامة الزندقة شرب الخمر والرشا فى الحكم ومهر البغى[٣] حتى قال بعض الشعراء :

تزندق معلناً ليقول قوم ... من الأدباءِ زنديقٌ ظريفُ

فقد بقى التزندق فيه وسما ... ولا قيل الظريق ولا اللطيف[٤]

---

(١) الفهرست ص٤٣٢ .

(٢) هم جماعة من الصابئة قالوا أن الصانع المعبود واحد وكثير ، أما واحد ففي الذات الأول والأصل والأزل وأما كثير فلأنه يتكسر بالأشخاص ـ الملل والنحل ٢/ ١١٠ .

(٣) العقد الفريد ١/ ٨٧ .

(٤) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٦ .

وهذا المعنى كان منتشراً ومعروفاً بين العامة من الناس خلال هذا العصر فهم يسمعون شعر الشاعر فسرعان ما يلتفتون إلى شيء فيه فيتهمونه من أجله بالزندقة أو يرون فعلاً صدر من إنسان أو كلمة قالها جداً أو هزلاً فيرمونه بالزندقة .

فإبراهيم ابن سيابه الشاعر كان يُرمى بالزندقة ولم يكن يعرف عنه قول فى الدين إنما كان يُعرف عنه أنه كان خليعاً ماجناً طيب النادرة يحب الغلمان ويحبه المجان ، وآدم حفيد عمر بن عبد العزيز اتهم بالزندقة لأنه كان خليعاً ماجناً منهمكاً فى الشراب يشرب الخمر ويفرط فى شربها ويجرى على لسانه شعراً فيه مساس بالدين ، ومن ذلك النوع قوله :

اسقني واسق خليلي ... في مدى الليل الطويل
لونها أصفر صافي ... وهى كالمسك الفتيل
في لسان المرء منها ... مثل طعم الزنجبيل
ويحها ينفح منها ... ساطعاً من رأس ميل
من ينل منها ثلاثاً ... ينسى منهاج السبيل
فمتى ما نال خمساً ... تركته كالقتيل
ليس يدري حين ذاكم ... ما دبير من قبيل
إن سمعي عن كلام اللائمي ... فيها الثقيل
لشديد الوقر إني ... غير مطواع ذليل
قل لمن يلحاك فيها ... من فقيه أو نبيل
أنت دعها وارج آخري ... من رحيق السلسبيل
تعطش اليوم وتسقى ... في غد نعت الطلول[1]

ومن أجل هذا اتهم بالزندقة وأخذه الخليفة المهدى وضربه ثلثمائة سوط على أن يقر ويعترف بالزندقة ، فيقول والله ما كفرت بالله طرفة عين ، ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ ولكنه طرب غلبنى وشعر طفح على قلبى وأنا فتى

---

(١) الأصفهاني ـ الأغاني ١٥/ ٢٢٧ ، أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٣ .

من فتيان قريش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون لا الحقيقة . ثم ما لبث أن هجر الشراب والمجون بعد ذلك كله وكان يكره أن يرى الخمر وشاربيها ويقول :

شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت ثوبى من أذى اللؤم طاهر(١)

ومن الدلائل التى تؤكد أن شرب الخمر واتخاذ القيان من علامات الزندقة .. أن المهدى عاتب شريك القاضى يوماً فقال له : يازنديق لأقلنك فضحك شريك وقال يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات شرب القهوات واتخاذهم القيانات فخلى سبيله(٢) .

وكان لوجود الشعراء والمجان أثر كبير فى انتشار هذا النوع من الفجور والإباحية والاستهتار الذى لا يخلو غالباً من التعرض للدين بالتهكم والسخرية وجهروا بهذه السخرية فى أقوالهم وأشعارهم ومجالسهم فسخروا ممن يقول بتحريم الخمر ومن الزهاد والوعاظ وممن يذكر بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وجنة ونار ، فنرى بشار بن برد يقول :

لا خير فى العيش إن كنا كذا أبداً لا نلتقى وسبيل الملتقى نهج
قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم مافى التلاقى ولافى قبله حرج(٣)

ومن هذا اللون من الشعر المستهتر الذى يدعو إلى الفوضى والتسيب والاستهتار قول أبى نواس :

وملحة باللوم تحسب أننى بالجهل أوثر صحبة الشطار
بكرت علىّ تلومنى فأجبتها إنى لا أعرف مذهب الأبرار
فدعى الملام فقد أطعت غوايتى وصرفت معرفتى إلى الإنكار
ورايت أتيانى اللذائذ والهوى وتعجلا من طيب هذى الدار
أحرى وأحزم من تنظر آجل علمى به رجم من الأخبار
ما جاءنا أحد بخير أنه فى جنة من مات أو فى النار(٤)

---

(١) الأصفهاني ـ الأغاني ١٥/ ٢٢٩ ، وأحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٤ .
(٢) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠/ ١٥٥ . (٣) الأصفهاني ـ الأغاني ٣/ ١٩٤ .
(٤) ديوان أبى نواس ـ تحقيق المستشرق أيفالد قاعور ٣/ ١٦٥ .

ويقول أيضاً :

يا ناظراً فى الدين ما الأمر ... لا قدر صح ولا جبر
ما صح عندى من جميع الذى ... تذكر إلا الموت والقبر(١)

وشاع هذا النوع من التملح والفكاهة على ألسنة الشعراء فى ذلك العصر حتى عدوه من المزاح وكان العامة يسمعون هذا اللون من الشعر فيسرعون بالحكم على الشاعر بأنه زنديق ، بينما يعده الخاصة منهم وهم العلماء وطبقة المثقفين بأنه نوع من أنواع الفكاهة والمزاح ، ولهذا شاع فى هذا العصر وصف الزنديق بالظرف ، فأبو نواس يصف العباس بن الفضل بن الربيع بقوله :

نديم كأس محدث ملك ... تيه مغن وظرف زنديق

والبعض كان يظهر الزندقة تظرفاً جرياً على ماهو شائع بين الناس ، فيذكر الأصفهانى : أن محمد بن زياد كان يظهر الزندقة تظرفاً مما جعل ابن المنذر يقول فيه :

يا ابن زياد يا أبا جعفر ... أظهرت ديناً غير ما تخفى
مزندق الظاهر باللفظ فى ... باطن إسلام فتى عف
لست بزنديق ولكنما ... أردت أن توسم بالظرف

كما كانت الزندقة تطلق على من اعتنق الإسلام ظاهراً ولكنه يدين بدين الفرس القديم باطناً ، وهذا المعنى الدقيق لا يعرفه إلا الخاصة من الناس ، وقد أشرنا إلى هذا المعنى سابقاً .

وعلى كل حال أصبحت الزندقة تهمة يُرمَى بها البار والفاجر حقاً وباطلاً دون التحقق فيها ، فالرجل يكون صديق الرجل ومن المقربين إليه ، فإذا ما وقع بينهما خلاف أو خصومة سرعان ما يرميه بالزندقة ويتهمه بها حقاً وباطلاً ، فأصبح الاتهام بها تكئة للمغرضين والكارهين وشراكاً ينصبه أصحاب الأغراض للإيقاع بمن يكرهون عند الخليفة أو الوالى ، ومن ذلك ما يرويه ابن طباطبا أن جفوة وقعت بين أبى عبيد الله معاوية بن يسار وبين

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٨٢ .

الربيع بن يونس ، وذلك فى عهد المهدى (١٥٩ ـ ١٦٨ هـ) وذلك بسبب تكبر أبى عبيد الله على الربيع ، فشرع الربيع فى إفساد العلاقة بين المهدى ووزيره ، كان للوزير ابن رديء الطريقة مذموم السيرة فسعى بابنه إلى المهدى بأنواع من السعايات ، فتارة يرميه ببعض حرم المهدى وتارة يرميه بالزندقة ، وكان المهدى شديداً على أهل الإلحاد والزندقة لا يزال يتطلع عليهم ويفتك بهم ، فلما رسخ فى ذهن الخليفة زندقة ابن الوزير استدعاه فسأله عن شيء من القرآن العزيز فلم يعرفه فقال لأبيه وكان واقفاً : ألم تخبرنى أن ابنك يحفظ القرآن ؟ قال : بلى ، ولكن فارقنى من مدة فنسيه فقال له : قم فتقرب إلى الله بدمه فقام أبو عبيد الله وارتعد فأشار العباسى على المهدى أن يُعفى الشيخ من قتل ولده ويتولى ذلك غيره ، فأمر المهدى بعض من كان حاضراً بقتله فضرب عنقه(١) .

كما كان الشعراء سريعو الاتهام بها إذا تعكر صفو العلاقة بينهم وحلت الكراهية والبغضاء محل المحبة والوفاء فيسرع كل منهم إلى هجاء صاحبه ويرميه بالزندقة كالذى كان بين بشار بن برد وحماد حيث هجاه حماد فقال :

يا ابن برد إخسأ إليك ... فمثل الكلب فى الناس أنت لا الإنسان
بل لعمرى لأنت شر منه ... وأولى منه بكل هوان(٢)

وكالذى يرويه خلاد الأرقط (ذكر ابن مناذر فى حلقة يونس فقدح فيه أكثر أهل الحلقة حتى نسبوه إلى الزندقة ، فلما صرت فى السقيفة التى فى مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة فدنوت فإذا ابن مناذر قائم يصلى فرجعت إلى الحلقة فقلت لأهلها : قلتم فى الرجل ما قلتم وهاهو قائم يصلى حيث لا يراه إلا الله)(٣) .

ثم هم يسرعون فى الاتهام فيحكمون على أبى العتاهية بالزندقة لقوله :

كأن عتابه من حسنها ... دمية قس فتنت قسها
يارب لو أنسيتنيها بما ... فى جنة الفردوس لم أنسها

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص١٨٣ .
(٢) أبو فرج الأصفهاني ـ الأغاني ٣/ ١٣١ .
(٣) المصدر السابق ٧/ ٢٩ .

ولقوله أيضاً :

إن المليك رآك أحسن خلقه ورأى جمالك

فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك[١]

بل أكثر من هذا وجد خلال هذا العصر فأبو العتاهية رمى بالزندقة لأنه يذكر الموت ولا يذكر الجنة والنار ، وإن كان بعض الباحثين جزم بزندقته وفساد دينه[٢] .

وكما كانت الخصومة الأدبية سبباً فى الرمى بالزندقة كذلك كانت الخصومة الدينية والسياسية سبباً فى الاتهام بها ، ومن ذلك ما ذكر الأصفهانى : (وكان حميد بن سعيد وجهاً من وجوه المعتزلة فخالف أحمد بن أبى داود فى بعض مذهبه وأغرى المعتصم بأنه شعوبى زنديق)[٣] .

كما كان الأصمعى من المقربين للبرامكة وكان كثير المدح لهم ، فلما نكبوا قال فيهم :

إذا ذكر الشرك فى مجلسى أضاءت وجوه بنى برمك

وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك[٤]

ويتعجب الأستاذ أحمد أمين من كثرة المتهمين بالزندقة فى هذا العصر ، حتى أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذريعة للانتقام من خصومهم سواء فى ذلك الشعراء والعلماء والأمراء والخلفاء[٥] ، فبشار بن برد يظل طوال حياته يقول الشعر الماجن الخليع ويتعرض للدين من قريب أو بعيد فلا يتعرض له أحد بأذى ، فلما جاوز الثمانين عاماً من عمره هجا يعقوب بن داود وزير المهدى بقوله :

---

(١) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٥٥ .

(٢) محمد محمود الدش ـ أبو العتاهية حياته وشعره ـ ط. وزارة المعارف ١٩٩٨ م .

(٣) الأصفهاني ـ الأغاني ٢/ ١٧ .

(٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/ ١٤٢ .

(٥) ضحى الإسلام ١/ ١٦٤ .

بنى أمية هبوا طال نومكم أن الخليفةَ يعقوب بن داود
ضاعتْ خلافتكم ياقومُ فانتظروا خليفةُ اللهِ بين الزقِ والعودِ[١]

وهجا الخليفة المهدى فسه عند ذلك رمى بالزندقة وضرب بالسياط حتى مات[٢] ، وهكذا لم توجد هناك ضوابط أو ثوابت فى الاتهام بالزندقة وأخشى أن يتهم بها برىء صحيح العقيدة قوى الإيمان ولكن كانت له حرية رأى فى بعض المسائل الدينية وبينه وبين غيره خصومة فشهروا به ولذلك أصبح للزندقة ضحايا كثيرون بالحق أحياناً وضحايا بالباطل فى بعض الأحايين .

ثالثاً.أسباب انتشار الزندقة :

توافرت للزندقة عدة أسباب ساعدت على انتشارها خلال العصر العباسى كان من أهمها :

١ ـ ظهور العنصر الفارسى على الساحة الإسلامية وسيطرته على بعض مقاليد الحكم فى الدولة العباسية ، حيث اعترف العباسيون بفضلهم وجهودهم فى قيام دولتهم فسمحوا لهم بالمشاركة فى إدارة وشئون الحكم فشجع الفرس إلى السعى لإحياء تراثهم ودينهم القديم فأخذوا يعملون لنشر المانوية والزرادشتية والمزدكية فى الظاهر إن أمكن أو فى الخفاء فكان من ذلك فشو الزندقة[٣] .

٢ ـ اتساع الحركة العلمية فى العصر العباسى اتساعاً واسعاً سمح معه للمسلمين أن يطلعوا على التراث الأجنبى بكل ما يحويه من مذاهب كلامية وقضايا فلسفية ومجادلات دينية حول المسائل العقائدية فى الأديان وكلها قضايا تثير فى النفس الشكوك وتبعث على الزندقة[٤] .

(١) الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب ص١٥٩ .
(٢) الأصفهاني ـ الأغاني ٣/ ١٤١ ، والجهشيارى ـ الوزراء والكتاب ص١٥٩ .
(٣) الأصفهاني ـ الأغاني ٣/ ٢٤٢ .
(٣) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ١٤٤ .